دراسات

تاريخية النبي الخاتم (ص) في الحجاز
شكوك المستشرقين ومسلمات المؤرخين

قاسم شعيب

تشرين أول ربيع الآخر
2024م- 1446هـ

www.barathacenter.com

تاريخيّةُ النَّبيِّ الخاتم ﷺ في الحجاز
شكوك المُستشرقين ومُسلَّماتُ المُؤرِّخين

-قاسم شعيب-

الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المركز

دراسات

تاريخيّةُ النَّبيِّ الخاتم صلى الله عليه وآله الحجاز

شكوك المُستشرقين ومُسلَّماتُ المُؤرِّخين

قاسم شعيب

أكاديمي تونسي، أستاذ المنطق وعلم الكلام.

مركز براثا للدراسات والبحوث

بيروت - بغداد

◆ التاريخ:
تشرين أول 2024 م - ربيع الآخر 1446هـ
◆ عدد الصفحات:
40 صفحة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مَركزُ بَراثا للدّراسَاتِ وَالبُحوثِ
بيروتَ - بَغدَادَ

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638

الفهرس

خلاصة 7

مقدمة 8

التَّشكيك في وجود النبيِّ 10

إجماع المُؤرِّخين الأوائل 14

تواتُر الرِّوايات عن النبيّ 16

المصاحف المخطوطة 18

الرَّسائل النبويّةُ إلى الملوك والأمراء 26

شهادات غير المسلمين 28

شهادة كُتّاب السِّيرة 31

خاتمة 36

خلاصة

لم يكتفِ المُستشرقون بتناولِ الإسلام في أُسُسِه الاعتقادية والتَّشريعيّة والقِيَميَّة، بحثًا ونقدًا وتشكيكًا، بل وَصَلَ الأمرُ ببَعضِهم إلى حدِّ إنكار الوجودِ التاريخيِّ لخاتَمِ الأنبياء، محمد صلى الله عليه وآله. وقَدْ مَثَّل هذا التوجُّهُ امتدادًا لإنكار الوجودِ التاريخيِّ لسائرِ الأنبياء، عليهم السلام، الذين تذْكُرُهُم الكُتُبُ الدِّينيّة، ولا سيَّما "الكتابُ المقدّس" على نحوٍ خاصّ، بدعوى عدم ثبوت ذلك من خلال الدراسات الأركيولوجية والحفرياتِ الأثرية. غير أنَّ ذلك الإنكارَ واجَهَ سُخرية الكثير من المتخصِّصين في البحث التاريخي، بسبب بداهة الوجود التاريخيِّ للنبيِّ الخاتم في الحجاز، وثبوته بطُرق التَّواتر متعدد الأشكال كما في كُتُب التاريخ والسِّيَرِ والمُدَوَّنات الحَديثيّة والمخطوطات القرآنية ورسائل النبي وغير ذلك، وهذا يَجعل وُجودَه التاريخيَّ يَرقى إلى درجة اليَقين العلميِّ الذي لا يَحتمل الشكَّ. وهذا البحث محاولةٌ لإبراز بعض تلك الأُسُس المُثبِتَةِ للوجود التاريخي لخاتم الأنبياء، بسبب أهمِّيتها، باعتبارها قاعدةً للانطلاق في دراسة الجوانب المختلفة للرِّسالة الإسلامية.

كلمات مفتاحية: تاريخيّة النَّبيِّ، تاريخيّة الإسلام، الاستشراق، التاريخ الإسلامي، مخطوطات القرآن.

مقدمة

انْصَبَّ الجُهدُ الاستشراقي لعقود طويلة على دراسة الإسلام والكتابة حَوْلَهُ. لكنَّ أولئك المستشرقين لم تكن كتاباتُهم عِلميّةً غالبًا، بل كانَت خاضعةً لخلفياتهم الإيديولوجيّة والدِّينيّة، التي كانت هي المُوَجِّهَةَ لأعمالهم، وكانوا، لأجل تأكيد مُسَبَّقاتِهم، يَعتمدون كثيراً على روايات ضعيفة وموضوعة، لتثبيت أفكارهم المُسبَّقة حول النَبيِّ والقرآن[1].

والمُفارقةُ أنْ يَظهر بين المُستشرقينَ مَن يُشكِّك في الوجود التاريخيِّ للنبيِّ محمد، صلى الله عليه وآله، كما حدث في فترة السَّبعينيّات من القرن العشرين، عندما تكَوَّنَت مدرسةٌ استشراقيّة مُتطرِّفة تَرفض القَبول بالمصادر الإسلامية في التاريخ والسِّيرة، حتى وإن كتبها غيرُ المسلمين. تُنكِرُ فرضيّاتُ هذه المدرسة وجودَ مكّةَ والمدينة، وبعضُهم قال إنَّ الحجاز ومكة والمدينة تُوجد خارج شبه الجزيرة

1 - انظر بخصوص ذلك: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، ص.ص. 8 ـ 13.

العربية، كما أنكروا وجودَ قُريَش والفتوحات التي قادَها النبيُّ، صلى الله عليه وآله، وأصحابُـه من المدينة، وأنكَروا أيضًا القُرآنَ وحقيقةَ أنَّه كتابُ الله ووَحْيُه إلى خاتَم أنبيائه.

اعتَـبر كثيرٌ من المُسـتشرقين، فضلاً عـن المُهتمِّينَ بالدِّراسـات التاريخية من المسـلمين، أنَّ تلك الشُّـكوك فرضياتٌ ركيكةٌ لا تسـتحقُّ حتـى النِّقاش. فهؤلاء المُشكِّكون مثل (يهودا نيبفو - Yehuda D. Nevo) و(روبرت سبنسر - Robert B. Spencer) و(سفين كاليش - Sven Kalisch) يتناقضون مع أنفسهم عندما يُهاجمون الشَّخصَ الذي يُنكِرونَ وجودَه.

ورغـم أنَّ أغلبَ المُسـتشرقين لا يُنكرونَ تاريخيّةَ النبـيِّ في الحِجاز، إلا أنَّ تلك الأفكار تسرَّبَت إلى بعض الفَضاءات الأكاديمية والبحثية العربية، ووجدَ فيها كثيرٌ من الوَضعيِّينَ والحَداثيِّينَ نافذةً لمُهاجمة خاتمَ الأنبياء من زاوية أخرى. وقد سـعى هذا التَّيّارُ الاستشراقيُّ إلى تَرسيخ فكرةِ عدمِ وجود النبيِّ، صلى الله عليه وآله، وكرَّسَ بحوثًا كثيرة لإثبات مزاعمه بأنَّ النَّبيَّ لم يكـنْ موجودًا، وأنَّ تأليف القرآن حصل في مرحلةٍ متأخِّرة، وأنَّ مؤلِّفيه ضمَّنوهُ أخلاطًا من ديانات قديمة، كالوثنيّة العربية، والمجوسية، واليهودية، والنَّصرانية، وكان هناك دائمًا من العرب مَـن يُصـدِّق تلـك الادِّعـاءات.

ولأجـل ذلك كلِّه فمِن المُهمِّ تتبُّعُ مدى جدّيّة تلك الشُّـكوك، ومعرفةُ الأهداف الكامنة وراءها، وكيفيّةِ مواجهاتها. وهذا ما سـيُحاول البحثُ طرحَه باختصار، من

خلال عناصر محدَّدة هي:

أولًا: الوقوف على موضوع التَّشكيك في وجود النبيِّ، ورصدُ حقيقتِه وبواعثِه لدى بعض المستشرقين والعرب.

ثانيًا: الردُّ على تلك الشُّكوك من خلال جُملة من الحقائق التاريخية، كإجماع المُؤرِّخين الأوائل القريبين من عصر الرِّسالة، وتواتر الرِّوايات عن النبيِّ، صلى الله عليه وآله، والرَّسائل التي بعثها النبيُّ إلى الملوك والأمراء في الحجاز وخارجَها، والمخطوطات المُؤرشَفة التي تتضمَّن مقاطع من القرآن الكريم، وشهادات الكُتّاب والمُؤرِّخين غير المسلمين، وشهادات كُتّاب السِّيرة.

1-1 التَّشكيك في وجود النبيِّ

انتهى المستشرق (روبرت سبنسر)، وهو كاثوليكي أمريكي يَعتبر نفسَه من "النَّوع الجيِّد من مُعادي الإسلام"[1]، إلى وضع احتمال لوجود النبيِّ، لكنَّه قال في كتابه "هل وُجد محمد؟": "لعلَّه وُجد كنبيٍّ للعرب، علَّمَهم توحيدًا غيرَ واضحِ المَعنى، ولكنْ بعد ذلك ضاعَت قصّةُ حياتِه في ضَباب الأسطورة"[2].

1 - See: “The Case for Islamophobia”, Frontpage Mag. 6, Decembre 2017.

2 - Robert Spenser : Did Muhammad exist? An Inquiry into Islam`s Obscure

لكنَّ يهودا نيفو الباحث الأركيولوجي اليهودي شـكَّكَ بقوة في وجود خاتم الأنبياء، صلى الله عليه وآله. فقد غلبَت الإيديولوجيا على تأويلاته للمُعطيات الأركيولوجية، ولم تكن اسـتنتاجاته علمية. ففي كتابه: "مفترق طرق الإسلام: أصول الدِّين العربي والدَّولة العربية"، الذي كتبَه مع (جوديت كورين - Judith Koren)، شكَّكَ بشكل تامٍّ في كل ما كُتب عن التَّعاليم الإسـلامية في المرحلة الأولى للإسلام. وهو يدَّعي أنَّ العرب كانوا لا يزالون وثنيِّين عندما فتحوا العراقَ وبلاد الشام ومصر. وفي تلك المرحلة تبنَّوا المعتقدات اليهودية والمسيحية للشعوب التي "غزَوها" ولم يَظهر الإسلام إلا بعد ذلك، عندما شكَّلوا ديانـةً خاصّةً بهم. وكلُّ القِصص عن النبـيِّ محمد والقرآن غيرُ صحيحة تمامًا. وعندما أعاد الألماني (سفين كاليش)، المُتخصِّص في الدِّراسات الإسلامية، التَّشكيكَ في وجود النبي محمد، صلى الله عليه وآله، عارضَه أغلبُ المستشرقين في ألمانيا، وقال القائمون على مشروع الدِّراسات القرآنية، المعروف باسم "Corpus Coranicum" في "أكاديمية برلين - براندنبورج للعلوم"، إنَّه لا يَجوز الشكُّ في المُعطيات التاريخية المُتعلِّقة بوجود النبي محمـد ودلائل نبوَّته، لكنَّهم برَّروا كلامَ (جودرون كريمر - Gudrun Krämer)، أسـتاذة العلوم الإسلامية في جامعة برلين الحرة، التي زُعم أنَّها ساندَتْه بقولها "إنَّها تتَّفقُ مع (كاليش) فيما ذهب إليه، وأنَّه ليس هناك دليلٌ تاريخيٌّ على وجود النبي"، فصرَّحَت

Origins, p. 214.

أنَّ كلامَها قد حُرِّف وأُخرِج من سياقه الصَّحيح[1]. وهو تَبريرٌ يتمُّ اللُّجوءُ إليه عادةً عندما تكون رُدود الفعل حادّةً، ويُصبحُ المَعنيُّ بالأمر في وَرطة.

انتقل التَّشكيك في وجود النبيِّ محمد، صلى الله عليه وآله، من المستشرقين إلى بعض أتباعهم العرب. ومن بين هؤلاء الكاتبة (هالة الوردي)، وهي أستاذة الأدب الفرنسيّ في الجامعة التُّونسية، وبعيدة عن الدِّراسات التاريخية والاستشراقية، ولا تملك خلفيّةً علميّةً، ولا درايةَ لها بالتَّاريخ الإسلاميِّ والسِّيرة النبويّة. جاء كتابُها في شكل قِصّة مُشْبَعة بالخيال، ومُتْخَمَة بالمواقف الأيديولوجيّة والمزاجيّة المُسبقة، حتى قال عنها (محمّد الطالبي) في ملتقى "الجمعيّة الدوليّة للمسلمين القرآنيِّين"، يوم 18 ماي/ أيار 2016: إنَّها "انسلاخسلاميّة[2]، مُتفرنسة[3]، سَوَّت حسابَها مع مُحمَّد".

أعادت (الوردي)، في كتابها "أيام محمَّد الأخيرة"[4]، إلى الواجهة أفكارًا استشراقيّةً مُتطرِّفة اتَّهمت النبيَّ، صلى الله عليه وآله، بشتَّى التُّهم، ووصلَت إلى

1 - انظر: "مستشرقون ألمان يرفضون آراء كاليش المشككة بوجود النبي محمد"، موقع دويتشه فيله: 2008/9/13.

2 - أي أنَّها من "المنسلخين عن الإسلام"!

3 - أي أنَّها ذات هوًى ثقافيٍّ وأيديولوجيٍّ فرنسيّ (علماني لاديني).

4 - See: Hela Ouardi : Les derniers jours de Muhammad.

حدِّ التَّشـكيك في وجوده التاريخيِّ، في تناقض صـارخ، مُبرِّرةً ذلك بوثيقة يونانية تذكر أن الرَّسول، صلّى الله عليه وآله، قد حارب في غزة سنة 634م.

وقد استفزَّ ما كتبتْه (هالة الوردي) حتى (هشام جعَيِّط)، الذي يَعتبره كثيرون أحدَ أهمِّ المُؤرِّخين المعاصرين، رغم أنَّه لا يختلف عنها في العُمق من حيث استدعاؤُه لترسانة الأفكار والمواقف الاستشراقية حول تاريخيّة القرآن الكريم، وإنكار الوحي الإلهيِّ وقَوْميَّة الرِّسالة الإسلامية[1].

لم يكن للتَّشكيك في وجود النبيِّ محمد، صلى الله عليه وآله، والإساءة إليه، من هدف سوى ضرب الصُّورة الجميلة للنبيِّ، التي انطبعَت في نفوس المؤمنين، وكلِّ الذين وصلهم خَبَرَه من المُنصِفين؛ بهدف إبعادهم عنه. فهذا الشكُّ ليس علميًّا، ولا هو جَدِّيّ؛ لأنَّه لا يكون على هذا النَّحو إلا إذا تعلَّق الأمرُ بوجود شـخص مجهول

1 - يجب لفتُ النَّظر إلى أنَّ أكثر ما اسـتفزَّ (هشـام جعيط)، في كتـاب (هالة الوردي) "آخر أيام محمّد"، اتهامها لأبي بكر وعمر وعائشة بتنفيذ مؤامرة اغتيال النبيِّ، والاستيلاء على السُّلطة من بعده. وهي تعتمد في ذلك وثائقَ تاريخية ومصادر مختلفة سـنيّة وشيعيّة. فـ(جعيط) في كتاباته كان يمُجِّـد أبا بكر وعُمَر، ويعتبرُهما أذكى رجليْن في قريش، ويهاجم النبيَّ وعليًّا وبني هاشـم عمومًـا، وهو شيءٌ لم تُقـصِّر فيه (الوردي) أيضًـا، وكالَت الكثيرَ من الاتِّهامـات للنبيِّ والإمام بطريقة قبيحة. راجع: هشـام جعيط: تاريخية الدَّعـوة المحمَّدية في مكة، ص. ص. 140 و147 و250 و285.

أو خامل الذِّكر، أما عندما يتعلَّق بنبيٍّ عظيم يتردَّد اسـمُه كلَّ يوم في أرجاء العالم، ويتَّبعه قرابةُ ملياري إنسان في هذا الزَّمن، فإنَّ المسألة تُصبح مُثيرةً للسُّخرية.

كرَّرَ المُشكِّكون في الوجود التاريخيِّ للنبيِّ خطأيْن أساسيَّيْن:

الأول، استبطانهم أنَّ خصوم الإسـلام من الوثنيِّين واليهود والنَّصارى كانوا في عداوة مع شخصيّةٍ وَهمية هي شخصية الرَّسول محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وآله، وهم يَقومون بمجهودات جبّارة، للطَّعن في نُبوَّته، واتِّهامه بالكذب والجنون! ولم ينتبـهْ أحدٌ منهم إلى أنَّه كان يُصارع الوهمَ عـلى امتداد قرونٍ طويلة بدأت منذ القرن السَّابع للميلاد، واستمرَّت إلى اليوم.

والثـاني، تناقضاتهم بين الحديث عن تفاصيل حياة النبيِّ والتَّسـليم بأحداثها، وقَبول حتى الموضوع منهـا، لتبرير هجومهم عليه، وبـين اتِّهامهم المُؤرِّخـينَ جميعًا بالتَّواطؤ وتزويـر التَّاريخ، فالكُتّاب الغربيُّون، والمُؤرِّخون المسـلمون، لا شـكَّ لديهم في وجود النبيِّ الكريم. بل إنَّهم يتوسَّـعون في نقل أخباره وسيرته وتعاليمه وحروبه بشكل أو بآخر، حتَّى إنْ كان ذلك بصورة مشوَّهة. وهذا التَّشكيك لا يُمكِنُه مواجهة تأكيد إجماع المؤرِّخين وشهادات التَّواتر ووجود المصاحف القرآنية ومُدوَّنات الحديث والرسائل التي كان يُرسِلها النبيُّ إلى الملوك والأمراء، وغير ذلك من النُّقوش والدَّراهم المَسـكوكة باسـم الرَّسول، وشهادة غير المسلمين في تلك العصور على وجود النبيِّ الخاتم، صلَّى الله عليه وآله.

2 - 1 إجماع المُؤرِّخين الأوائل

لا شـكَّ لدى المُؤرِّخين في وجود النبيِّ محمـد، صلى الله عليه وآله، في مكّةَ في القرن السّابع للميلاد. وهم يُثبتون ولادتَه في عام 571م، المعروفِ بعام الفِيل، لعبد الله بن عبد المُطَّلب بن هاشـم، وآمنة بنت وَهب. والإجماع حاصل على وفاة والده عبد الله قبل ولادته، ووفاة أمِّة آمنةَ عندما كان عمرُه ستَّ سنوات، فرَبَّاه جدُّه عبدُ المطَّلب، ثم عمُّه أبو طالب، والاختلاف حول بعض الجزئيّات لا يَخرق ذلكَ الإجماعَ.

ورغم إنكار المسـتشرقين نبوة محمد، صلَّى الله عليـه وآله، إلا أنَّ معظمَهم لم يَستطيعوا إنكارَ وجودِه ودعوتِه وانتصاراته وتعاليمه بالطُّرق العلميّة، واضطرَّ أكثرُهم إلى التَّسـليم بذلك، والانتقال إلى العمل على التَّشـكيك في نبوَّتِه وتَعاليمه. لكن حتى تلك المُحاولات لا تَنفي وجودَه ولا وجودَ رسالته.

إنَّنا نجد أنَّ المسـتشرقة الدانمركية (باتريشـيا كـرون - Patricia Crone) رغم تشـكيكها في كثير من الحديث المنسوب للنبيِّ، لم تستطع إنكارَ وجودِه، وكلُّ ما اسـتطاعَت قولَه هو أنَّ مكّةَ لا تُوجد في الحجاز، وإنَّما في الأردن[1]، وهي تقول: "لا شكَّ أنَّ محمدًا كان موجودًا"، وتُشير إلى نصٍّ يونانيٍّ مكتوب بين 632 و634م

1 - See: Patricia Crone : Meccan trade and the rise of Islam.

يقول: "إنَّ نبيًّا كاذبًا [في زعمه] ظهر بين الساراكينوسيِّين"[1]. و"هذا النصُّ يدلُّ على أنَّ محمدًا مُؤسِّسٌ لدينٍ عالميٍّ، ويُقدِّم دليلاً قطعيًّا على أنَّه شخصيّةٌ تاريخيّةٌ"[2].

والمستشرق الأرمني (مايك كوك - Michael Cook)، الذي يُشارك كرون تطرُّفَها في قراءتها للسِّيرة النبويّة، يُقِرُّ بوجود اسمِ محمد في مصدرٍ سرياني، يُرجِّح أنَّه يَعود إلى زمن الغَزوات، أي إلى سبعينيّات القرن السابع للميلاد. وهناك ذكرٌ له في مصدر يوناني آخر. كما تُوجد بُرديّةٌ مُؤرَّخة في سنة 634م، وتتضمَّن أحداثًا تعود إلى سنة اثنتَينِ وعشرين، وهذا يُقوِّي حصولَ أحداث كبيرة سنة 622م. وقال: إنَّ محمدًا كان تاجرًا، وإنَّ إبراهيمَ كان مركزيًّا في دعوتِه[3].

2 - 2 تواتُر الرِّوايات عن النبيِّ

التَّواتُر هو التَّتابُع في اللُّغة. وفي الاصطلاح هو نقل جماعة من النَّاس عن جماعة أخرى خبرًا، لِيُفيد ذلك التَّواترُ القَطعَ بحصول الحدث، أو صدور الكلام من الشَّخص المنسوب إليه. فالتَّواتُر يَشترك فيه عددٌ كثير من الرُّواة في كلِّ طبقةٍ،

1 - المقصود بالسَّاراكينوسيِّين: العربُ أولاً، ثم عموم المسلمين بعد ذلك، منذ بداية ظهور الإسلام حتى القرون الوسطى.

2 - Michael Cook : Mohamed, p74.

3 - Michael Cook : Mohamed, p74.

بحيثُ يَستحيلُ تَواطُؤُهُم على الكذب عادةً. ويُشترَطُ فيه أن يكون مصدرُ الخبر الأوَّل مُستندًا إلى الحِسِّ من السَّمع أو البَصر أو اللَّمس، ولا يَكفي الاستنتاجُ العقليُّ. أي أنَّ مُنتهى السِّلسلة يجب أن يكون أشخاصًا سمعوا أو رأَوا أو لَمسوا بأيديهم مَوضوعَ الخبر. وفي حالتنا يَجب أن يكون المصدرُ الأوَّلُ، وهو الصحابيُّ، قد رأى النبيَّ يَفعل، أو سمعَه يتحدَّث.

والشكُّ في التَّواتر يَعني إسقاطَ كلِّ الأحداث التاريخيَّة القديمة والمُعاصرة، وهو ما يَعني إسقاط العلم برمّته وإغلاق الجامعات ووكالات الأنباء، فمن المعلوم أنَّ المعارف الإنسانيّة وأحداث التاريخ المُتداوَلة نُقلت إلينا بالتَّواتر، وإنكارُ التَّواتر يَعني إنكارَها، ويُفضي إلى هدم العلم، أمَّا ما لم ينقل بالتَّواتر فهو الذي يَخضع عادة للتَّمحيص العلميِّ للتأكُّد من صحّته.

وبالنِّسبة لخاتم الأنبياء، صلى الله عليه وآله، فلدينا ما يَكفي من الأخبار المُتواترة التي تدلُّ على وجوده في مكّة، وزواجه من خديجة، ودعوته إلى الإسلام، وتعرُّضه للأذى، ومعاناته مع أصحابه المؤمنين، وضرب حصار عليه وعلى أصحابه، وحصول هجرتَين، الأولى إلى الحبشة والثّانية إلى يثرب. كما يوجد تواتُر في نقل هجرته إلى المدينة، وكيف بَنى دولته وباشر بالدِّفاع عن دينه، وفتح مكة، وهزم في معاركه أعداءَه، وصارت له أمّةٌ كبيرة من النّاس يتَّبعونه ويتلقَّون إرشاداتِه وتعاليمَه.

كان عدد "الصَّحابة" بالآلاف، ويقول بعضُ المُؤرِّخين إنَّه مائةُ ألف "صحابيٍّ"[1]. و"التَّابعـون" الذيـن رأوهم ونقلوا عنهـم أضعافُ ذلك العـدد. ويتضاعف العدد بالنِّسـبة لـ"تابعي التَّابعين"، وهكذا إلى نهاية السِّلسلة. وهذا التواتُر لا مثيلَ له في التَّاريخ بالنسـبة لأيَّة أحداث تاريخية عند الأقوام الأخرى، من اليونانيِّين والرُّومان والقرطاجيِّين والفرس وغيرهم.

كما كان للنبيِّ، صلى الله عليه وآله، أولادٌ وبناتٌ. غير أنَّ نسلَه انحصر في ذُرّية سِـبطَيه من فاطمة، الحسن والحسين، عليهم السـلام. ومنهما استمرَّ نسلُ النبيِّ، وانتشر في كلِّ مكان من العالم. وهؤلاء يمكن التأكُّد من نسـبهم عن طريق التَّواتر أو الفحص الجينيِّ، كما أنَّ كثيراً منهم يَملك شـجرة نسب موثوقة تَنتهي إلى علي وفاطمة.

2 - 3 المصاحف المخطوطة

يَبقى القرآنُ الكريم الكتابَ المركزيَّ في الإسلام. وقد تمَّ تدوينه في حياة النبي، صلى الله عليه وآله، على أدوات متنوِّعة، وأوصى النبيُّ عليًّا، عليه السلام، بجمعه بعد وفاته، وهو ما تمَّ. غير أنَّ أصحاب السُّلطة رفضوا ذلك المصحفَ، وقرَّروا أن

1 - سيد بن كسروي بن حسن: هدى القاصد إلى أصحاب الحديث الواحد، ج1، ص6.

يَجمعوا المصحفَ بترتيب مختلف.

لا يُنكِر المستشرقون، غالبًا، وجودَ القرآن وظهورَه في حياة النبيِّ. ولكنَّهم يَنفون مصدرَه الإلهيَّ، باعتباره وحيًا من الله جاء به جبريل إلى خاتم الأنبياء. والتَّشكيك في مصدر القرآن لا يَنفي وجودَه، رغم أنَّ ذلك التَّشكيك يَستند على مُسَبَّقات المُستشرقين الدِّينية والأيديولوجية، وليس على المُعطيات العلمية الدَّقيقة.

غير أنَّ مستشرقين آخرين مثل الأمريكي (جون إدوارد وانسبرو - John Edward Wansbrough) وأتباعه زعموا أنَّ القرآن لم يَظهر إلا في القرن الثاني للهجرة، لتبرير القول بأنَّه أُخِذ عن النَّصرانية. وهذا الادِّعاء لا يَنسجم مع كيفيّة الصَّلاة المُتواترة عن النبيِّ، والتي تتضمَّن قراءةَ سُوَرٍ من القرآن. كما لا يَنسجم مع الرِّوايات المُتواترة حول جمع المصحف بعد وفاة النبيِّ مباشرة. ولذلك نجد أحدَ أبرز علماء مخطوطات القرآن، وهو المستشرق الفرنسي (فرنسوا ديروش - François Déroche) يقول: "صحيح أنَّ (جون ونسبرو) قد دافع عن فكرة أنَّ النصَّ، كما نعرفه، قد دُوِّن بصورة مُتأخِّرة، واقترح أنَّها نهاية القرن الثامن، أعلى تاريخ مُمكِن لهذه العملية، لكنَّ الآثار العملية لتداوُل كِتابيٍّ للقرآن مُطابق للنُّسخة العثمانية، تَعود في أسوأ الأحوال إلى زمن لا يَتجاوز نهاية القرن السَّابع، قد استبعدَتْ هذا الاحتمالَ بشكل قاطع"[1].

1 - François Deroche : Le Coran, Que sais- je?, p. 74.

وأكَّد أنَّ سُوَرَ القرآن مهما كان شَكلها كانت موجودة في عصر النبيِّ[1].

تمَّ اكتشافُ آلاف المخطوطات التي تعود إلى العصر النبويِّ بعد الهجرة، وبلغ عددُها أكثرَ من 4 آلاف مخطوطة قرآنية، مُوزَّعة في عواصم كثيرة في العالم، وتختلف تلك المخطوطاتُ بعضُها عن بعض في تاريخ تَدوينها، ونوع الخطِّ الذي كُتبت به، والأدوات المستخدَمة في الكتابة، ومن مخطوطات القرآن التي ردَّها المُختصُّون في الخطاطة وتاريخ مخطوطات القرآن إلى القرن الأول للهجرة:

أ. **مخطوطات صنعاء** وهي مجموعة من الرَّقائق المخطوطة، بلغ عددُها قرابةَ 4500، وقد كُتبت بخطوط غير مَنقوطة؛ حجازيّة وكوفيّة وغيرها. وبعضُها اعتُبر من أقدم النُّصوص القرآنيّة الموجودة. وقد اكتُشفت مع مجموعة من المخطوطات القديمة في الجامع الكبير بصنعاء القديمة عام 1972 على طِرس[2]، وهي تَعود إلى الصَّدر الأوَّل للإسلام، ويُعتقد أنَّ بعضَها كُتبت بخطِّ الإمام عليِّ بن أبي طالب[3]. وقد بيَّنَ تحليلُ الكربون المُشعِّ أنَّ تاريخَ نموذجٍ منها يَعود إلى ما بين عامي 578 و669م، بدقة

1 - François Deroche : Le Coran, Que sais- je?, p. 75.

2 - الطِرس (بكسر الطاء) هو الصفحة من الكتاب التي مُحي ما كُتب عليها ليُكتب عليها غيره.

3 - Geoffrey Roper (ed.) : World Survey Of Islamic Manuscripts, Volume III, p.p. 664667-.

95%[1]. تَتألَّف مجموعةٌ من تلك المَخطوطات من 275 صفحة، تحتوي على 86% من القرآن، مكتوبة بالخطِّ الكوفيِّ، وقد نُشرت صورة عنها في 2011. وهـذه المخطوطةُ مُنقَّطة، كما تحتـوي على علامة بعد كلِّ عشر آيات فيما يُسمَّى بالتَّعشير، وعلامة أخرى مختلفة بعد كلِّ مائة آية، ويوجد ديكور خاصٌّ في بداية كلِّ سورة يُشبِهُ ما نجده في مصاحف اليوم[2].

ب. **مخطوطـة دار المخطوطـات بصنعاء** في اليمن، وهـي تَعود إلى القرن الهجريِّ الأول، مكتوبة بخطٍّ حجازيٍّ في 29 صفحة، وفيها دائرةٌ صغيرة بعـد كلِّ عشر آيات، وهو أيضًا من أشـكال التَّعشـير، كـما يوجد خطٌّ صغير بعد كلِّ آية، وبين كلِّ سـورتَين يوجد فراغٌ، والسُّورة الجديدة تبدأ بالبَسـملة. والمخطوطة تبدأ بسورة الفاتحة ثم سورة البقرة. وعُثر عليها في الجامع الكبير بصنعاء.

ت. **مخطوطة المكتبة الشَّرقية بصنعاء** اكتُشـفت في عـام 1965 في الجامع الكبـير بصنعاء، ويَعـود تاريخُهـا إلى منتصف القرن الهجـريِّ الأوَّل.

---

1 - <https://web.archive.org/web/20160305163156/https://www.scribd.com/doc/130854520/The-codex-of-a-companion-of-the-Prophet-SAW-Benham-Sadeghi-Bergmann>.

2 - رقم تلك المخطوطات 01 DAM-27.1 و 25.1-DAM01 و29.1-DAM01.

والمخطوطة مكتوبة بخطٍّ حجازيٍّ، في 80 صفحة، مُوزَّعة بين المكتبة الشَّرقية، ودار المخطوطات بصنعـاء، ومجموعة دافيد في كوبنهاجن، التي جمعَتْ صفحاتٍ بأيدي أفرادٍ تَناقلوها، وعُرض بعضُها بمزاد علنيٍّ.

ث. **مخطوطات سنة 1972**، حيث تمَّ العثور على عشرين كيسًا من الخيش، مملوء بالمخطوطات، في المكتبة الشَّرقية بصنعاء وتمَّ نقلها إلى المتحف القوميِّ. ثـم بالتَّعاون مع اليونسـكو تدخَّلَت "جامعةُ كيمبردج" سـنة 1976، فعكَف خبراء مُتخصِّصـون في مخطوطات القرآن على دراسـة هذه المخطوطات. وفي سنة 1980 اتَّفقَت الحكومتان الألمانيّة واليمنية على تَرميم المخطوطات وإصلاحها، فبدأ المَشروع سنة 1982، وانتهى في سنة 1989.

ج. **مخطوطـة المتحف البريطاني في لندن**، المملكة المتحدة[1]، التي تعود إلى القـرن الأوَّل للهجرة، كما أكَّد المُتخصِّـصُ في مخطوطات القرآن أدولف غروهـمان، وتحتوي 53% من القـرآن في 121 صفحة، مكتوبة بالخطِّ وفقًا لقراءة ابن عامر، ويُقال إنَّها أقدمُ نُسخة في أوروبا، وأكَّدَت دراسة في المخطوطة أنَّها شبيهة جدًّا بالمخطوطة الموجودة في باريس. وعلى هذا الأساس مالَت هذه الدراسة إلى تحديد زمن المخطوطة ما بين

1 - المخطوط رقم MS. Or 2195.

30 – 85هـ، وجلب هـذه المخطوطة من مصر إلى المتحف البريطاني غريفيل تشستر بتاريخ 29 إبريل 1879م.

ح. **مخطوطـة باريس، في المتحف القومي للمخطوطات،** تعود إلى القرن الأوَّل الهجـريِّ، وعـددُ صفحاتهـا 64، منها 62 في المتحـف القوميِّ للمخطوطـات في باريس، و2 منها في مكتبـة جامعة كيمبردج، وتمثِّل 4.2% من القـرآن، مكتوبة بخطٍّ حجـازيٍّ، تمَّ شـكلُ الكلماتِ بنقاط حمراء، ووُضعت فيها علاماتُ التَّعشير.

خ. **مخطوطة مسجد الحُسين في القاهرة،** وهي تعود إلى أواخر القرن الأوَّل أو أوائل الثاني الهجريَّين، ومكتوبة بخطٍّ كوفيٍّ في 1078 صفحة، مفقود منهـا 4 صفحات، وتحتوي على 99% من القرآن، كلُّ عشر آيات مُعلَّمة بعَلامة تَعشير. نُقلت سنة 2006 إلى المكتبة المركزية للمخطوطات في مسجد السَّيدة زينب. ونُشرت صُوَرٌ عن المخطوطة سنة 2009.

د. **مخطوطات منسوبة للإمام علي بن أبي طالب،** محفوظة في أمانة خزانة "توبكابي سراي"[1]، تضمُّ 48 ورقة.

ذ. **مخطوطة منسـوبة للإمام عـليٍّ محفوظة في مكتبة رضـا،** رمبور، الهند

1 - رقم 25E.H.2. ورقم36E.H.29.

رقم:1، تضمُّ 343 صفحة.

ر. **مخطوطات منسوبة للإمام عليّ محفوظة في النَّجف**، العراق وإحداها تضمُّ 127 ورقة.

ز. **مخطوطات منسوبة للحسن بن عليٍّ في مشهد إيران**، رقم 12 وتضمُّ 124 ورقة، وأخرى 41 ورقة.

س. **مخطوطة محفوظة في متحف الفنِّ الإسلامي بإسطنبول**، رقم 358.

ش. **مخطوطة المتحف الإسلامي للفنون بإسطنبول**، تَعود إلى أواخر القرن الأوَّل أو أوائل القرن الثاني الهجريَّين. تتكوَّن من 439 صفحة، 17 منها مفقودة، مكتوبة على جلد غزال بخطٍّ كوفيٍّ، كلُّ عشر آياتٍ مختومة بنقطة دائريّة ذهبيّة كعلامة تَعشير. ذُكر اسمُ كلِّ سُورة قبل البسملة، وتمَّت الإشارةُ إليها إذا كانَت مكيّةً أم مدنيّةً. كانت المخطوطة موضوعة في مكتبة آيا صوفيا، ثم نُقلت عام 1912 إلى المتحف المذكور. في الصفحة الأخيرة من المخطوطة كُتب فيها "كتبَه عثمانُ بن عفان سنة 30 هجرية". نُشرت صُوَرٌ عن المخطوطة سنة 2007. وهذه المخطوطة شديدة الشَّبَه بتلك الموجودة في فيينا.

ص. **مخطوطة جامعة برمنغهام، المملكة المتحدة**، أكَّدت الدِّراساتُ الحديثة أنَّها مكتوبة بخطٍّ حجازيٍّ، وتَعود إلى القرن الأوَّل الهجري، وهي مُكوَّنة

من 9 صفحات. تمَّ تَشكيل الكلمات بنقاط حمراء، ووُضعت فيها علامةُ تَعشير، وتمَّ فصلُ كلِّ سورة بمجموعة نقاط سوداء، وتَبدأ كلُّ سورة جديدة بالبَسملة بلون أحمر. ومخطوطة جامعة برمنغهام القرآنية اكتُشفت عام 2015، وتبيَّنَ أنَّها أقدمُ مخطوطة مُكتشفة في العالم حتى الآن. وقد قدَّمَ تلك المخطوطةَ للجامعة (هرمز منغنا) الشَّهيرُ بـ (ألفونس منغنا - 1878) (Alphonse Mingana-1937)، وهو لاهوتيٌّ وباحث ومُستشرقٌ كلدانيٌّ. وقد استخدمَ خبراءُ المخطوطات الفحصَ الإشعاعيَّ بواسطة الكربون المُشِعِّ، وتبيَّنَ أنَّ عمرَها يَبلغ نحو 1370 عامًا. واستنتجَ العلماءُ أنَّ المخطوطةَ قد دُوِّنت ما بين سنتي 568 و645 ميلادية. وقد درس المستشرقُ الإيطاليُّ (سيرجيو نوجا نوسيدا - Sergio Noja Noseda) صحبةَ (فرنسوا ديروش) المصاحفَ المكتوبةَ بالخطِّ الحجازيِّ، التي تعود إلى القرن الأوَّل للهجرة، واستنتَجا أنَّها تحتوي على 83% من نصوص القرآن الكريم، رغم أنَّهما أهملا البُرديّات، والمصاحفَ المكتوبة بالخطِّ الكوفيِّ، والمكتوبة على الرُّقوق الحجازية المُكتشَفة في صنعاء.

ض. **مخطوطة جامعة توبنغن في ألمانيا**، وتَعود إلى ما بين سنتي 649 و675م، أي إلى سنوات قليلة بعد وفاة النبيِّ صلى الله عليه وآله. ولأجل ذلك

خلص المستشرقُ (نيكولاي سيناي - Nicolai Sinai) إلى أنَّ الجدلَ حول تدوين القرآن انحصر في حدود القرن السَّابع الميلادي. ووجود القرآن في تلك الفترة يَكفي للقطع بوجود النبيِّ في تلك المرحلة.

2 - 4 الرَّسائل النبويّةُ إلى الملوك والأمراء

حرص النبيُّ الكريم، صلى الله عليه وآله، على إيصال رسالة الإسلام إلى كلِّ الحُكّام المُحيطينَ بالحجاز، للتَّأكيد على عالميّةِ هذا الدِّين، بعكس ما يدَّعيه بعضُهم حول قوميّةِ الإسلام، وأنَّ النبيَّ بُعث للعرب خاصّةً، فأرسل سفراءَ ومَبعوثين إلى ملوك الأُمم الأخرى، يَحملون معهم رسائلَه الدَّاعيةَ إلى اعتناق الدِّين الجديد، مُعلنًا لهم أنَّه خاتمُ الأنبياء، الذي جاء ليَختمَ الوحيَ، ويُحيي رسالات الأنبياء السَّابقين، مُحذِّرًا من مغبّةِ الرَّفض والجُحود.

استغلَّ النبيُّ فترةَ الهُدنة مع قريش في العام السادس للهجرة، وبدأ يَبحث عن نشر الإسلام خارجَ الجزيرة العربية. فوجَّهَ سفراءَه إلى (النَّجاشي) ملكِ الحبشة، وإلى (المُقوقس) عظيم القبط في مصر، وإلى (كِسْرى) ملكِ الفُرس، وإلى (هِرَقْل) عظيمِ الرُّوم، وإلى (المُنذِر بن ساوى) ملكِ البَحرين، و (هوذه الحنفي) أميرِ اليَمامة، وملكِ عُمان، و(الحارث الحِمْيَري) حاكم اليمن، و(الحارث الغسّاني) أميرِ الغساسنة.

وكان اختيارُ النبيِّ، صلى الله عليه وآله، لسُفرائِه قائمًا على مُواصفات مُحدَّدة في

العلم والحكمة والفطنة وحُسن التصرُّف والصَّبر والشَّجاعة وحُسن المَظهر. فلم يُرسِلْ جاهلاً ولا أحمقَ ولا مُتنطِّعًا ولا قبيحَ الشَّكل .. فقد اختار النبيُّ، صلى الله عليه وآله، مثلاً، دِحْيَةَ الكلبيَّ، الذي كان يتمثَّلُ به جبريلُ لوَسامتِه وحُسن صورتِه، إضافةً إلى فروسيّته ومَعرفته بالرُّوم، وأرسله إلى (هرقل).

وأرسلَ النبيُّ (عبد الله بن حذافة) إلى (كسرى) عظيمِ الفرس، وقد كانَت له دِرايةٌ بهم ومعرفةٌ بلُغتهم، وكان مثالاً في شجاعته ورَباطة جأشه. وأرسلَ النبيُّ، صلى الله عليه وآله، إلى (المقوقس) ملكِ مصرَ (حاطِبَ بن أبي بلتعة)، وهو أحدُ فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية، وكان مُطَّلِعًا على النَّصرانية، ويمَلك قُدرةً على المحاورة.

كتب النبيُّ إلى (المقوقس) حاكم مصر: "بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، من مُحمَّد رسول الله إلى المُقوقس عظيمِ القبط، سلامٌ على مَن اتَّبع الهُدى، أمَّا بعدُ فإنِّي أدعوكَ بدَعوة الإسلام، أسلِمْ تَسلَمْ، يُؤتكَ اللهُ أجركَ مرَّتَين، "قُلْ يا أهلَ الكتاب تَعالَوا إلى كلمة سَواءٍ بَيننا وبينكُم ألّا نَعبُدَ إلّا اللهَ، ولا نُشرِكَ به شَيئًا، ولا يتَّخِذَ بَعضُنا بَعضًا أربابًا من دون الله، فإنْ تَولَّوا فقُولُوا اشهَدُوا بأنَّا مُسلمونَ".

وتقولُ الرِّوايةُ التَّاريخيَّةُ إنَّ (المقوقس) لمَّا قرأ الرِّسالةَ قال لحاطب: "ما منعَ صاحبَكَ إنْ كانَ نبيًّا أنْ يَدعوَ على مَن أخرجوهُ من بلده، فيُسلِّطَ اللهُ عليهمُ السُّوءَ؟" فقال حاطبٌ له: "وما منعَ عيسى أنْ يَدعوَ على أولئكَ الَّذين تآمَرُوا عليه لِيَقتلوهُ،

فيُسلِّطَ اللهُ عليهِم ما يَستحِقُّون؟ فقال (المقوقس): أنتَ حكيمٌ، وجِئتَ مِن عندِ حَكيمٍ".

وفي تلك الرَّسائل خاطبَ النبيُّ الملوكَ والأمراءَ بألقابِهم، ودَعاهُم إلى الإسلام، وحذَّرَهُم من مَغبّةِ الرَّفض والجُحود، وكان يَختم بحسب ما تَقتضيه المُناسبةُ، فقال لكسرى مثلاً في ختام الرِّسالة: " أسلِمْ تَسلَمْ، فإنْ أبيتَ فعلَيكَ إثمُ المَجوسِ"، على حين كتبَ للنّجاشيِّ: " وقد بلَّغتُ ونَصحتُ، فاقبَلُوا نَصيحتي، والسَّلامُ على مَنِ اتَّبعَ الهُدى". وهذه الرَّسائلُ التي وجَّهَها النبيُّ، صلى الله عليه وآله، إلى الملوك والحُكّام والأُمراء، يَحتفظ متحفُ إسطنبول ببعضها، فيما يَحتفظ معرضُ الرَّسول الكريم في المَدينة المُنوَّرة بنُسَخٍ طبقِ الأصل لهذِهِ الرَّسائل. وهي كلُّها دليلٌ إضافيٌّ على وجود النبيِّ في تلك المرحلة.

2 - 5 شهادات غير المسلمين

كان ظهور النبيِّ الخاتم في مكّةَ، ثمَّ انتقاله إلى المدينة، حدَثًا هائلاً هزَّ العالَمَ آنذاك، ووصل الخبرُ إلى الأُمم القريبة والبَعيدة. بل إنَّ بعضَ الكهنة والرُّهبان ورجال الدِّين من اليهود والنَّصارى وغيرهم كانوا يتوقَّعون ظهورَ نبيٍّ، وكانوا يُبشِّرون بذلك.

وقد جمع المستشرق (روبرت هويلاند - Robert G. Hoyland) في كتابه "الإسلام كما رآه الآخرون" شهاداتٍ كثيرةً جدًّا عن الإسلام في كتابات غير

المسلمين، في العصر الإسلامي الأول، أي حتى سنة 164هـ/ 780م. وهي شهاداتٌ مُتنوِّعة بلُغات مُتعدِّدة كالسِّريانية والعِبريــة واليونانية واللَّاتينية والقبطيّة والصِّينية والأرمينيّة.

ومن تلك الشهادات التي ذكرَها (هويلاند):

أ. **غــزوات العرب (قرابــة 636 م):** كُتبــت في الورقة الأماميّــة لمَخطوطةٍ سريانية، تَعود إلى القرن الســادس، تضمُّ إنجيــلَ متى وإنجيل مرقص، بضعةُ أســطُرٍ تتحدَّث عن "الفتح العربيِّ" منها: "دُمِّرَت قرًى كثيرةٌ بقَتلِ [عــرب] مُحمَّــدٍ أهلَها، وقُتــل كثيرٌمــن النَّاس، و [أخــذوا] أسرى من الجليل". وقد ذهب المســتشرق (نولدكــه) إلى أنَّ هذا النصَّ قريبٌ من زمن معركة اليرموك التي يَنقل خبرها[1].

ب. **توماس الكاهن (حوالي 640 م):** كتبَ توماس الكاهن في تاريخِه الذي ألَّفَه سنة 640م، في آخِر حُكم هرقلَ: "في عام 945 يوم الجمعة 7 فبراير (=634م) في السَّاعة التَّاســعة، دارَتْ معركةٌ بين الرُّومان وعربِ مُحمَّدٍ

1 - See: Robert G. Hoyland : Seeing Islam as other saw It, A Survey and Evaluation of Christian, Jewish, and Zoroastrian Writing on early Islam, p.p. 116117-.

في فلسطين، على بُعد اثنَيْ عشرَ ميلاً شرقَ غزّة"[1].

ت. **تاريخ خوزستان:** لم يُذكَر اسمُ مُؤلِّفه. وهو تاريخٌ نسطوريٌّ مُختصَر حول أهمِّ محطَّات تاريخ الكنيسة والتَّاريخ السياسيِّ، من وفاة هرمز بن كسرى إلى نهاية الدَّولة السَّاسانيّة. وقد جاء فيه ذكرُ الفُتوح الإسلامية. ومما جاء فيه: ثمَّ نصرَ اللهُ عليهم أبناءَ إسماعيلَ، وهم (كثرةٌ) كالرَّمل على شاطئ البَحر، وقائدُهُم مُحمَّدٌ. لم تُوقِفْهُم جُدرانٌ ولا بَوّاباتٌ ولا دُروع، وسَيطروا على كاملِ أرضِ الفُرسِ. أرسلَ يزدجرد لمُواجهتهم عددًا لا يُحصى من القُوّات، لكنَّ العربَ هَزموهُم جميعًا وقتلُوا رستمَ"[2].

ث. **تاريخ أرمينيا:** كُتب حوالي سنة 660م. ونُسب إلى الأسقف الأرمنيِّ سيبوس، الذي عاش في النِّصف الثاني من القرن السابع الميلادي، الذي تُوفيِّ فيه النبيُّ. لكنَّ بعض المُحقِّقينَ قال إنَّه مجهولُ المؤلِّف. وفيه يَقول المؤلِّف: "في تلك الحقبة ظهرَ رجلٌ من بين العَرب من أبناء إسماعيلَ يُدعى مُحمَّدًا، وصار عَلَمًا، وعلَّمَهُم الإيمانَ بربِّ إبراهيمَ، وقالَ إنَّ الأمرَ جاء من السَّماء، وأمرَهُم جميعًا أن يَجتمعوا سويًّا

1 - Thomas The Presbyter : Chronicle, p.p. 147148-.

2 - Robert G. Hoyland : Seeing Islam as other saw It, p. 186.

ويتوحَّدوا على الإيمـان، وبعد أن تَركوا تَعظيمَ الأشـياءِ الباطلة اتَّجَهوا نحوَ الله الحيِّ الذي ظهـرَ لأبيهم إبراهيمَ، وشرعَ لهم محمَّدٌ ألَّا يأكلوا الميتـةَ ولا يَشربوا الخمرَ ولا يَكذبـوا ولا يَرتكبوا الزِّنى، وقال لهم: لقد وعدَ اللهُ تلكَ الأرضَ إبراهيمَ وابنَه من بعدِه إلى الأبد، وما وعدَ به تحقَّقَ في ذلك الوقت."[1].

ج. **تاريخ الأسـقف يوحنا النقيوسي:** وهو أسقفُ مدينة نقيوس المصرية، عاش في القرن السَّابع، وتُوفيِّ حوالي سنة 690م. أرَّخَ للعصر الأوَّل لفتح مصر، كتبَ كتابًا في التاريخ، رُبَّما بالقبطية أو اليونانية، لكنَّ ما وصلنا هو ترجمتُه باللُّغة الإثيوبية. قال (يوحنا النقيوسي) في كتابه: "... والآنَ فإنَّ الكثيرَ من المصريِّينَ الذين كانوا مَسيحيِّين أنكَرُوا الإيمانَ الأرثودوكسيَّ المُقـدَّسَ، ومَعموديّةَ الحياةِ، واعتنقُوا دينَ المُسـلمين الأعداء، وقَبلُوا عقيدةَ محمَّد، وقد زاغوا مع الوثنيِّين، وحملوا السِّلاحَ بأيديهم وحاربوا المَسيحيِّين"[2].

1 - Robert G. Hoyland : Seeing Islam as other saw It, p. 186.

2 - Robert G. Hoyland : Seeing Islam as other saw It, p.p. 194200-.

2 - 6 شهادة كُتّاب السِّيرة

حاول النَّافونَ لوجود النبيِّ الاستنادَ إلى دعوى تأخُّر تَدوين السِّيرة النبويّة. ولو فرضْنا أنَّ السُّنّةَ النَّبويّةَ لم تُدوَّنْ إلا في وقتٍ مُتأخِّر، فإنَّ الأدلّةَ السَّابقةَ تكفي لإثبات الوجود التاريخيِّ للنبيِّ بشكل قطعيٍّ. غير أنَّ هذه الدَّعوى لا تَستقيم بدورها، لأنَّنا نجد في القَرنين الأوَّل والثاني الكثيرَ من المُدوَّنات في السِّيرة النبويّة.

ومن أوائل مَن كتبَ في السِّيرة النَّبويّة يمُكنُ أن نَذكُرَ:

أ. سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجيّ، الذي وُلد في حياة النبيِّ، وقد تبقَّى من كتابه نُصوصٌ مَحدودة في مُسنَد أحمدَ والطَّبريّ، ولعلَّ سعيدًا قد واصل عملاً بدأهُ أبوهُ سعدُ بن عبادة، فيكون مِن أوائل مَن كَتب في السِّيرة.

ب. سُليم بن قيس الهلاليّ العامريّ الكوفيّ، وُلد في السنة الثانية قبل الهجرة، وكان عمره حين وفاة النبيِّ 12 سنة، لكنَّه لم يَرَ النبيَّ، صلى الله عليه وآله، ولم يَدخُلِ المَدينة إلا سنة 16هـ. له كتابٌ باسمه، وهو كتابٌ مطبوع ومُتداوَل، يَروي الحوادثَ التي وقعَت عُقيب وفاة النبيِّ، صلى الله عليه وآله. وسُلَيم من أجلِّ أصحاب أئمة أهلِ البيت، وعاصر أربعةً منهم، وهم عليٌّ والحَسن والحُسين وعليُّ بن الحُسين السجَّاد، عليهم السلام، كما أدركَ الإمامَ الخامسَ، وهو الإمامُ محمد الباقر عليه السلام. ذكر ذلك

ثلاثـةٌ من رجال الشِّـيعة: البَرْقي والطُّوسي وابـن النَّديم. وقد أوردَه في أصحاب الأئمّة كلُّ مَن تعرَّض لترجمته من رجال الشِّيعة. وهذا الكتاب له شـأنٌ كبير عند أغلب الشِّيعة، رغم احتوائه على روايتَين، على الأقلِّ، مَشـكوكٍ فيهما. فالمُحتوى الذي يُورِدُه سُليم نجد له، بعمومه، شواهدَ ونظائرَ في كُتب الحديث والسِّيَرِ والتَّفاسير الشِّيعية والسُّنيّة قد تَصل إلى حدِّ التَّواتُر.

ت. سهل بن أبي خيثمة المَدنيّ الأنصاريّ (3هـ 41- أو 60هـ)، وتوجد بعضُ نصوصٍ كتابه في أنساب الأشراف، وطبقات ابن سعد، والطَّبري.

ث. سعيد بن النسيب المَخزوميّ (13-94هـ)، وقد نقل عنه الطَّبريُّ في كتابه.

ج. أبان بـن عثمان (20-95هـ)، وهـو مُحدِّثٌ، نقل عنه مالكٌ وابنُ سـعد والطَّـبريُّ واليَعقوبيُّ، ولعلَّ الذي نقلَ عنـه اليَعقوبيُّ هو أبان بن عثمان الأحمر، المُتوفىَّ سنة 170هـ، من أصحاب الإمام جعفر الصَّادق.

ح. عروة بـن الزُّبير بن العوام (23-94هـ)، نقل عنه ابنُ إسـحاقَ والواقديُّ والطبريُّ، يُقال إنَّه أوَّلُ مَن ألَّف في المَغازي، وقيل إنَّ نصوصَه عبارةٌ عن أجوبةِ كُتبٍ، بعثَها إليه عبدُ الملك بن مروان، وبعضُها حدَّثَ بها طُلَّابَه، وعلى هذا فهو ليس أوَّلَ مَن ألَّفَ في المَغازي.

خ. أبو فضالة عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري (ت 94هـ)، لديه كتابٌ

في المَغازي، روى عنه ابنُ إسحاقَ ونقل عنه الطبريُّ.

د. القاسم بن محمد بن أبي بكر (37-107 هـ)، نقل عن كُتبِه الطبريُّ والبلاذريُّ والواقديُّ، وعدَّهُ الشَّيخُ الطُّوسيُّ من أصحاب الإمام عليٍّ السَّجَّاد.

ذ. وهب بن منبه (ت114هـ)، عُرِف بالإسرائيليّات، أخذَ عنه ابنُ إسحاقَ وابن قُتيبةَ والمسعوديُّ والمَقدَسيُّ والطبريُّ، وتوجد قطعتان من مَغازيه في حِلية الأولياء، وثمَّةَ مَخطوطة من مغازيه وجدها أحدُ المُستشرقين.

ر. أبو رَوح يزيد بن رومان الأسديّ المدنيّ (ت 130هـ)، روى عن عروةَ والزُّهريّ، وتلمَذَ عليه ابنُ إسحاقَ ومالكٌ، ونقل عن كتابه الواقديُّ وابنُ سعد والطبريُّ.

ز. أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل الأسديّ (ت 131 أو 137هـ)، من تلاميذ عروة والزُّهريِّ، نقل عن كُتبه ابنُ حَجر في الإصابة وابنُ سعد والبلاذريُّ والطبريُّ.

س. محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهري (50-124هـ)، تلامذته الثَّلاثة الذين سنذكرُهم بعدَه.

ش. مُوسى بن عقبة الأسديّ (55-141هـ)، روى عن الزُّهريّ، نقل عنه ابنُ سعدٍ وابنُ إسحاقَ والواقديُّ والطبريُّ، وثمّةَ مَخطوطةٌ من مغازيه في

برلين، نسـخَ كتابَه أبو نُعَيـم الأصفهانيُّ، واعتمد النُّسـخةَ ذاتَها ياقوتٌ الحمويُّ، نقل الكثيرَ عنه ابنُ حجر في الإصابة، وابنُ عبد البرِّ وابنُ سيِّد النّاس.

ص. مَعمَر بن راشد البصريّ (96-154هـ) روى عن الزُّهريِّ، نقل عنه الطبريُّ والواقـديُّ والبـلاذريُّ وابنُ سـعد، وثمّـةَ قِطَعٌ محفوظةٌ مـن كتابه في إستامبول ودمشق والرِّباط.

ض. محمد بن إسـحاق المُطَّلبـيّ (75-151هـ) عـدَّهُ الشَّـيخُ الطُّوسيُّ من أصحاب الإمام الصَّادق، وأباهُ إسـحاقَ من أصحاب الإمامَين السجَّاد والباقر، وهو أوَّلُ من جَمع مغازي النبيِّ صلى الله عليه وآله في مُصنَّف، لكنَّه ليس أوَّلَ مَن كتب فيها، ونُشرت سيرتُه بتَحقيقَين، وهناكَ مَخطوطة منها في المَغرب، وحسب فهرسة آغا بزرك فإنَّ الكتاب موجودٌ في مكتبة محمد باشـا، وهذَّبَ سيرتَه عبد الملك بن هشام، المَعروف كتابُه بسيرة ابنِ هشام.

ط. أبانَ بـن عثمان الأحمر البجلي (ت 170هـ)، من أصحاب الإمام جعفر الصَّادق، له كتابٌ في المغازي، نقل عنه اليعقوبيُّ.

ظ. محمد بـن عمر الواقدي (130-207هـ)، تبقَّى مـن كتبه المَغازي فقط، مَخطوطتُه في جزأينِ في المتحف البريطـاني، وحُقِّقَ ونُشِر، واختصرَهُ

ابنُ حجر، روى عن ابن إسحاقَ وامتدحَه بدون التَّصريح باسمِه.

ع. محمد بن سعد، المعروف بكاتب الواقدي (168-230هـ)، وكتابُه الطَّبقاتُ هو الثَّاني من بعد سيرة ابن إسحاقَ الذي وصلَنا كاملاً، ممَّا هو متَّصل بالمصادر الأولى، ومَن أتى بعدَهُما عوَّلَ عليهما.

خاتمة

ممّا سبق يَظهر أنَّه لا معنى لإنكار الوجود التاريخيِّ للنبيِّ محمد، صلى الله عليه وآله. ولأنَّ حقيقةَ وجوده نُقلت بالتَّواترُ عبر الأجيال، وشهدَتْ لها المَخطوطاتُ القرآنية القديمة، وإجماعُ المُؤرِّخينَ والنُّقوش الأثريّةُ ورسائلُ النبيِّ إلى ملوك العالم، ووجود أحفادٍ للنبيِّ من ابنته فاطمة وسِبطَيه الحسن والحُسين، وأهمُّهُم الأئمّةُ التِّسعةُ من أولاد الحُسين، الذين عُرفوا بالانتساب للنبيِّ، وكان النَّاس يُخاطِبون كلَّ واحد منهم بـ "يا ابن رسولِ الله".

ورغم مُهاجمتِهم للإسلام، فإنَّ أتباعَ الدّيانات الأُخرى، لا سيَّما اليهود والنَّصارى، زمنَ الرِّسالة، لم يُنكِروا وجودَ النبيِّ. وهذا يَعني أنَّ إنكارَ وجوده في مكّةَ والمَدينةَ ناتجٌ عن عدم مَعرفةٍ واطِّلاع أو عن نوايا مُسبَّقة، لها أهدافٌ مُعيَّنة لمواجهة هذا الدِّين الذي بَرهَنَ على قوّة دَفعٍ ذاتيّة كبيرة.

شكَّكَ الاستشراقُ في كلِّ شيءٍ يَخصُّ الإسلامَ، ولم تَستثنِ شكوكُه وجودَ النبيِّ

نفسه، لكنَّها كانَت شُكوكًا بلا أساس، وعكسَت فقط انفعالاتٍ دينيّةً وأيديولوجيّةً. ورغـم ذلك تلقَّى بعضُ تلامذةِ الاستشراق من العرب والمسلمين دَعوى إنكار الوُجـود التّاريخـيِّ للنبيِّ، وعملوا عـلى تركيزها في الوعي العامِّ، بعد أنْ فشـلَتْ هجماتُهم المباشرة على هذا الدِّين، وادِّعاءاتُهم حول بشريّةِ القُرآن، وانفصال الدِّينيِّ عن السياسيِّ في الإسلام، وتاريخيّة التَّشريعات الإسلامية. ومن المُمكن أَنْ يكون هدفُ إثارة هذه الشُّـكوك تَغيير موضوعِ النِّقاش، بعد أن فشلَ استهدافُ المَنظومة الإسـلاميّةِ في القرآن والسُّنة خلال العقود الماضية. فقد عملَتْ مجموعة كبيرة من الباحثين على نـشر أفكارٍ عن تاريخانية القرآن، وذاتيّـةِ الوَحيِ واللَّعب الحُرِّ على معاني النُّصوص.

لم يَخرج هذا النِّقاشُ من أسـوار الجامعات والمَراكز البَحثيّة، فتمَّ الانتقالُ إلى تجربـةِ مدخلٍ جديدٍ، لعلَّه يكونُ مُؤثِّرًا، ويتعلَّقُ هذه المرّةَ بالتَّشـكيك في الوجود التاريخيِّ للنبيِّ محمد، صلى الله عليه وآله، وهو طرحٌ يُعيدُنا إلى التَّشكيك، الذي باتَ قناعةً لدى كثيرٍ من المُثقَّفين والأكاديميِّين الغَربيِّين من مختلف التَّخصُّصات، في وجود سائر الأنبياء من آدمَ ونوحٍ وحتى إبراهيمَ وموسى وعيسى عليهم السلام.

والأرجـحُ أنَّ هدف تلك الشُّـكوك لم يكن قناعـةً بعدمِ وُجود النبـيِّ، بل كان فقط تكتيكًا لاسـتفزاز المُسـلمين. يتمُّ في هذه الحالات استخدامُ "مغالطة الرنجة الحمراء"، وهـي مغالطةٌ مَنطقيّةٌ تُريد تَشـتيت انتباهِ الطَّـرف الآخَرِ عن المَوضوع

الأصليِّ، وإغراقَه في موضوعات جانبيّة لا طائلَ منها. كما يتمُّ استخدام "مغالطة التَّعمية والإرباك" من خلال إثارة غضب المُتلقِّي المُستهدَف، أو إشعاره بالنَّقص، بالإيحاء إليه بأنَّ معتقداته خُرافيّةٌ، ومقدَّساته أسطوريّةٌ، وهو شيء مُربِكٌ يَسمح باتِّهام الطَّرف الآخَر بضعفِ الحُجّة وغياب الدَّليل.

لا يُمثِّلُ البحثُ في حقيقة وجود النبيِّ محمَّد، صلى الله وآله، شيئًا جدِّيًّا لولا تأثير مثل هذه الادِّعاءات على كثير من المُتلقِّين الذين لا يُدركونَ خلفيّةَ مثلِ هذه الشَّطحات الفكرانية. فكثيرٌ منهم يَقعون فريسةً لهذه الاتِّجاهات التي لا تَهدف لشيء غير سَلخِهم عن دِينهم بكلِّ حمولته العقديّة والتَّشريعيّة، كما حدث للأوروبيِّين على نحوٍ واسع بعدَ انبثاق فكر الحَداثة واتِّجاهاتها الوَضعية والمادية، ليَنتهي أكثرُهم مَلاحدةً أو لا دينيِّين.

المصادر والمراجع

باللغة العربية

- علي، جواد، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الحداثة، بيروت - لبنان، د.ت.
- بن حسن، سيد بن كسروي، هدى القاصد إلى أصحاب الحديث الواحد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.
- جعيط، هشام، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة، دار الطليعة، بيروت، 2007.
- "مستشرقون ألمان يرفضون آراء كاليش المشكِّكة بوجود النبي محمد"، موقع دويتشه فيله: 2008/9/13.

باللغات الأجنبية

- François Deroche, Le Coran, Que sais- je?, Presse Universitaire de France, 2014.
- Geoffrey Roper (ed.), World Survey Of Islamic Manuscripts, 1992, Volume III, Al-Furqan Islamic Heritage Foundation: London.
- Hela Ouardi, Les derniers jours de Muhammad, Albin Michel, Paris, 2016.

● https://web.archive.org/web/20160305163156/https://www.scribd.com/doc/130854520/The-codex-of-a-companion-of-the-Prophet-SAW-Benham-Sadeghi-Bergmann.

● Michael Cook, Mohamed, Oxford, Oxford University Press, 1996.

- Patricia Crone, Meccan trade and the rise of Islam, Oxford, Basil Blackwell, 1987.

● Robert spinser, Did Muhammad exist?: An Inquiry into Islam s Obscure Origins (Wilmington, Delaware: Isi Books, 2012.

● Robert G. Hoyland, Seeing Islam as other saw It, A Survey and Evaluation of Christian, Jewish, and Zoroastrian Writing on early Islam, Princeton, N.J., Darwin Press, 1997.

● The Case for Islamophobia, Frontpage Mag. 6, Decembre 2017.

مَركزُ بَراثا للدِّراسَاتِ وَالبُحوثِ
بيروت - بَغداد
Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

المشرف العام: الشيخ جلال الدين علي الصغير
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638